الإعلام الإسلامى

يهدف الإعلام الإسلامى إلى ترسيخ القيم الدينية، وتنمية الضمير لمراقبة الله عز وجل، وحُسْن الجوار مع الناس، وأداء الأمانة، ثم يكون هناك تأصيل من جانب هذا الإعلام على القيم الأصيلة المنبثقة من هدى الله وتوجيه الأنبياء؛ لأن الله عندما أرسلهم إلى البشرية كانوا رجال إعلام من الطراز الأول، المتميز بصدق الكلمة، وعفة اللسان، ونزاهة المقصد، وحسن الأداء، مع الفطنة والنباهة، وسرعة البديهة، والدقة فى التعبير.

وكان أنبياء الله يتميزون فى المجتمع بصفاء القلب، ونقاء السريرة، وعدم حبس أى معلومة عن الجمهور، مع الدقة فى تبليغها؛ لهذا أمرنا الله عز وجل أن نقتدى بهم، فقال سبحانه وتعالى ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ (١).

وإن ما يجرى على الساحة الآن، من خلخلة فكرية وتردد فى قبول الأخبار مرده يرجع إلى أن بعض الشخصيات الإعلامية لم تلتزم بصدق الحديث، وإتقان العبارة، وإبراز الحقيقة على وجهها الصحيح.. من هنا بدأ البعض يشكك فى الإعلام ووسائله، فأردنا أن نبرز ما هو الإعلام الدينى، وما هو دوره؛ ليعرف الناس أن الخير موجود، وأن الصدق متوافر بيقين بين الأمة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس.

---

(٣) الأنعام ـ من الآية: ٩٠.

الهدف من الإعلام الإسلامى:

يتحقق الهدف الإعلامى عند توصيل معلومات من المرسل إلى المستقبل، فإذا كانت الفكرة واضحة مفهومة مدروسة على ضوء العوامل الاجتماعية والبيئية، فإن لذلك أثره على المُتَلَقِّى، مع ملاحظة أن المجتمع الإنسانى يعيش فى ثورة اتصال إعلامى نتج عنه تأثير مباشر على الفرد والجماعة، وذلك لأن البث الإعلامى لا يتوقف لحظة من ليل أو نهار، فالإذاعة لا تتوقف عن البث، والصحف والمجلات، والملصقات فى الشوارع والميادين، لا تنقطع عن الإصدار، وحديث الصاحب لصاحبه، والتليفزيون والسينما والمسرح والندوات العامة، والمحاضرات فى الأندية والمحافل.

كل ذلك له تأثير فى اتجاه رأى الفرد والمجموع، وعندما نقف أمام هذا الحشد، يتبين لنا أن الإعلام هو:

١ ـ شخصية المرسل (المتحدث، أو الكاتب، أو الخطيب، أو المحاضر، أو الممثل).

٢ ـ موضوع الفكرة (اجتماعية، أو دينية، أو وطنية، أو سياسية، أو اقتصادية، أو عسكرية، أو زراعية، أو صناعية، أو تاريخية، أو غير ذلك).

٣ ـ شخصية المستقبل (سواء كان فردا، أو جماعة، أو شعبا).

والمفروض أن تتميز شخصية المرسل بالصدق فى دعوته، والإيمان بما يدعو إليه، وأن يكون محترما بين من يتحدث إليهم، وأن يكون موضع ثقتهم.

ولنا فى رجل الإعلام الأول، والداعية الأعظم، نبى الله ورسوله، سيدنا محمد ﷺ ـ القدوة والمثل الأعلى، فلقد عرض عليه المشركون المال والجاه والرئاسة وزينة الحياة الدنيا كلها بشرط واحد: هو أن يتخلى عن دعوته!!! فماذا كان رده عليه الصلاة والسلام؟ لقد قال كلمات خالدة، لابد أن نضعها أمام أعيننا: «والله لَوْ وَضَعُوا الشَمْسَ فى يَمِينِى والقَمَرَ فى يَسَارِى، عَلَى أنْ أترُكَ هَذَا الأمْرَ مَا تَرَكْتُه حَتَّى يُظْهِرَهُ الله أوْ أَهْلِكْ دُونَه».

كما أن صاحب الدعوة لا يظمأ أبدا، ولا ييئس، ولا يقنط، حتى ولو رأى الفساد هنا وهناك، وحامل راية الحق سيدنا محمد ﷺ المثل الرائد، والنموذج الفريد، عندما تعرض لأذى أهل الطائف، بعد أن تحمل ما أصابه من الأذى الذى ألحقه به المشركون على أيدى سفهائهم، ماذا كان منه؟ إنه جلس وتطلع إلى السماء وقال وهو يناجى ربه «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربى ورب المستضعفين، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى».

كما أن على صاحب الدعوة أن يتميز بسعة الصدر، والعفو عن المسىء إليه، مع الإحسان إن استطاع ذلك؛ لما قيل: «اتق شر من أحسنت إليه بزيادة الإحسان إليه»، ولقد وصف الله نبيه المصطفى ﷺ بقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّه لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ**

فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (١). وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (٢).

أما الثالثة، فإنه يستثير العقل، فعلى المتحدث أن يسوق الأدلة الواضحة البينة حتى يقتنع المستمع بالفكرة، ويعكس ذلك التأثير عليه فى سلوكه، وبالتالى يكون تأثيره فى المجتمع عن اقتناع.

إن الإعلامى الناجح هو الذى يراجع جمهوره بين الحين والحين، يُذَكِّرُهُمْ، ويتابعهم، حتى تترسخ الفكرة فى عقولهم، ويلاحقهم بتجديد أسلوبه، وابتكار عباراته، ووضوح رأيه، ثم يكرر طرح الفكرة فى مناسبات مختلفة، وبأسلوب يناسب الموقف؛ لأنه «لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَال»، ولأنه يهدف إلى غرض معين وهدف واضح، فهو يلاحق جمهوره؛ ليحصل على النتائج المرجوة من حديثه.

أما الفكرة، فتكون واضحة مفهومة، ولكى يتحقق هذا، فلابد أن يدرس الموضوع علميًا بعد التعرف على اتجاهات الرأى العام؛ ليتلاءم الموضوع مع حاجة الجماهير، حتى يكون هناك استجابة منهم، وعند عرض الفكرة يلاحظ أن تكون متفقة فى مضمونها، متمشية مع أفكار المجتمع؛ ليتفهمها القوم، مع مواءمتها للأفكار التى يعتنقها المستقبلون للرسالة الإعلامية، وملاحظة ثقافتهم، والتقاليد السائدة فى المجتمع.

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ١٥٩.

(٢) القلم: ٤.

ويلاحظ الخطيب أو الكاتب مختلف المؤثرات الحسية والنفسية والعقلية؛ لأنه فى الأولى يستثير العواطف والأحاسيس الطبيعية، فيمن يتحدث إليهم، وفى الثانية، فإنه يخاطب فى القوم الظاهر والباطن أو الشعور واللاشعور، وأثر الحديث ينعكس على وجوه القوم، ويظهر منهم الانفعال أو عدمه، وعلى هذا، يجب مراعاة هذه الجوانب؛ لأنها مهمة جدًّا حتى لا يكون المرسل فى وادٍ والمستقبلون فى وادٍ آخر.

الرأى العام الإسلامى:

الشخص له فكر قد يظهر فى كلامه، ويعلنه للناس، وقد يخفيه، فيعتمل فى نفسه، ولكن يظهره إذا سنحت الفرصة له بالتعبير. كذلك يكون هناك رأى لمجموعة من الناس فى قضية معينة: سياسية، أو زراعية، أو اجتماعية، أو دينية، أو وطنية، وغير ذلك من الآراء، وتدور مناقشات يشترك فيها الكل، ويتفق الأغلب على رأى معين، ويسود هذا الرأى الذى يتفق مع المعتقدات العامة السائدة فى البيئة، ويكون هذا رأياً عامًّا مقبولاً.

وهناك كذلك الرأى الذى يثار عن طريق القيادة وله دعاية ومؤثرات، حتى يقوم بدور أساسى فى مساندة رأى القيادة؛ ليكون النجاح للفكرة التى تدعو إليها، وتجذب إليها الناس، فيكون له سُلطة تبث روح التعاون بين المواطنين، وتحدث التقارب بين فئات الشعب، ويكون من وراء ذلك رفع الروح المعنوية بين الناس، ورعاية القيم الأخلاقية، وتأمين مصالح الشعب؛ لأن الرأى العام له سلطة يؤدى بها دوراً خطيراً ومستمرًّا فى صيانة

المُثُل العليا؛ ولذا نلحظ أنه فى حال كبت الرأى العام، يظهر السخط، ويكون الناس غير راضين، ويتندرون وتظهر النكات التى تعبر عن مكنون الاتجاه العام والرأى الباطنى المكبوت، ويكون ذلك فى عصور الاستبداد أو حكم الفرد وتسلطه.

وفى عصور الحرية، تعبر الجماهير عن رأيها بالوسائل المختلفة، ويظهر رفض الرأى العام لأى قضية مطروحة لا تجد القبول عند الجماهير بالسلبية واللامبالاة؛ لأنها تختلف عن معتقداته، أو لأنها لا تهم المصلحة العامة، لذلك فهو لا يؤديها.

ثم هناك رأى عام مؤقت، يكون بسبب مشكلة طارئة، تختلف عن معتقدات الناس، وأفكار المجتمع، مثل حالات العنف التى تتمثل فى الغضب على جماعة تنسف طائرة، أو تخطفها، أو تغرق باخرة عليها الآلاف من الناس لا ذنب لهم، أو الذين يخطفون السلاسل الذهبية من النساء، فيتكون رأى عام نتيجة التعاطف أو السخط، لكنه مؤقت يزول باختفاء الحدث وآثاره.

نحن إذن أمام اتجاهات متعددة للرأى العام الذى يتكون نتيجة لعناصر كثيرة، هى مقوماته، وذلك مثل:

١ ـ البيئة. ٢ ـ الطبيعة الاجتماعية. ٣ ـ الثقافة.

ثم هناك مؤثرات أهمها:

١ ـ الدين. ٢ ـ الأسرة. ٣ ـ المدرسة والصحبة.

٤ ـ التجارب. ٥ ـ الظروف الوقتية.

إن الله سبحانه كَرَّمَ الإنسان وفَضَّلَهُ على كثير من خلقه، إلا أنه مع ذلك يتأثر سلوكه الاجتماعى نتيجة تأثره بمؤثرات داخلية، من أعماقه؛ لأنه هو معقد التركيب، متغير المزاج، سريع الانفعال.

والإعلامى الناجح هو الذى لا يصادم عواطف الجمهور، ولا يكبت غرائزه، ولا يميت أحاسيسه، وإنما يهذب سلوكه، ويرقق العواطف، ويبرز أسمى ما فى الإنسان من خصائص؛ لأن وسائل الإعلام بتأثيرها على الشخص، تحدث مؤثرات معينة على عقله، وذلك حسب هدفها؛ لأنها تفرض عليه نوعا من الاستسلام العقلى حتى يصبح مستعدا لقبول إيحاءاتها بما تريد أن تمليه عليه وتتحكم فى توجيهه، وهذا ما يسمى (بغسيل المخ)، لأن الشخص وقع تحت التأثير.

لهذا فإن إعادة تشكيل عقلية الفرد وتصحيح منهجه وترتيب آرائه، وربطه بالقيم العالية والمُثُل الرائدة، يتطلب فرض مؤثرات معينة على عقل الشخص، مع إعادة تعليمه وتذكيره بماضى، الآباء والأمهات، وسيكون هناك صراع بين ما تلقنه من الوسائل الأخرى، وبين ما يسمعه من فوق المنبر مؤيدا من القرآن والسنة، مع ملاحقته ومتابعته بالتكرار، فلذلك تأثير مباشر يكون من ورائه سرعة الاستجابة وردود فعل فى أعماقه، وذلك يتم فى جو طاهر، ونفس طيبة، وحكمة عظيمة وموعظة رقيقة بليغة بعيدة

عن الانفعالات والكبت، بكل يسر وسهولة، ووضوح تام، وأدلة بينة، ولكل أثره الطيب فى القبول والتغيير والتعديل.

وعلى هذا، يجب أن تكون المادة العلمية قد صيغت بأسلوب علمى حتى يستقبلها عقل المتلقى بالقبول، ويقتنع بها ويعمل بتوجيهاتها، ويصبح سلوكه متأثرا بها، ولكى يصل إلى هذا فإنه يتخذ الوسائل العلمية الحديثة مطية له؛ لتساعده على جذب الجماهير ويؤثر فيهم مع تجديد المعلومة وإكسابها مزيدا من الحيوية، وهذا يتطلب منه كثرة القراءة والتأمل والاستنباط.

إن الرأى العام ما هو إلا نتيجة حتمية لتوجيه صادر من شخص موثوق به، مع إيمانه هو بما يوجهه وقوة الدليل الذى يسوقه ومواءمه الرأى لأحاسيس المستمعين؛ ولذلك وَجَّهَ الرسول ﷺ سؤالا للناس الذين اجتمعوا حوله عندما طُولِبَ بأنْ يَصْدَعَ بالرأى، ويعلن عن عودته، ويكشف المستور من أفكاره، فلما صعد على الصفا، ونادى على بطون القبائل سألهم: «لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقِىَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبا قط.

فلو لم يكن هكذا ما قالوا ذلك، لكن الفضل ما شهدت به الأعداء؛ ولهذا نجد أن المشركين ـ برغم أنهم أنكروا الرسالة الإسلامية، وحاربوها ـ فإنهم لم يكذبوا الرسول ﷺ؛ لأنهم لم يجربوا عليه كذبا، ومن هنا قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَدْ

نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (١).

دور الإعلام الدينى فى التنمية الاجتماعية:

المراد بالتنمية طلب الزيادة والبركة؛ ذلك لأن التنمية إدراك حقيقى للدور الذى يجب أن ينهض به الإنسان؛ ليؤدى الدور الاجتماعى المُلْقَى على عاتقه فى الحياة.

والدور الأساسى للتنمية هو الزمن، الذى هو نعمة من الله، حيث جعله شرطاً أساسياً للتنمية، إذ يقول سبحانه:

﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ (٢).

ويقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ (٣).

إن الذين يريدون التنمية الحقيقية للأمة، عليهم أن يوجهوا الناس للحركة اليومية التى تبدأ من أول شعاع الضوء، ويبدأ التسابق مع الزمن لإثبات قدرات الأمة ونهوضها فى استخراج كنوز الأرض وخيراتها، فإن الأرض التى زللها الله لعباده وجعلها

---

(١) الأنعام: ٣٣.

(٢) يونس: ٥.

(٣) الفرقان: ٦٢.

ميدانا للتسابق الحركى أمرهم ـ سبحانه ـ بالسعى فى مناكبها فى قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾(١).

ويقول الرسول ﷺ فى الحديث النبوى: «لا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْد يَوْمَ القيَامَة حَتَّى يُسْأل عَنْ أربَع: عَنْ عُمْرِه فيم أفْنَاهُ؟ وعَنْ شَبَابه فيمَ أبْلاَهُ؟ وعَنْ مَاله مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وفيْمَ أنْفَقَهُ؟ وعَنْ علْمه مَاذَا عَملَ به؟». وقد جاء بالأثر: «مَا مِنْ يَوْمٍ يَنْشَقُّ فَجْرُهُ إلاَ ومناد ينادى: يَابْنَ آدَمَ، أنا خَلْقٌ جديدٌ، وعَلَى عَمَلكَ شَهيدٌ، فَتَزَوَّدْ مِنِّى بَعَمَلٍ صَالحٍ فَإنَّى لا أعُودُ عَلَيْكَ إلى يَوْمَ القيَامَة».

إن حركة التنمية تبدأ من طلوع الفجر، حيث يستيقظ الناس عند سماعهم للنداء الإلهى، الذى يوقظ النائمين عند سماعهم «الصلاة خير من النوم»، ثم يتحرك موكب العاملين بعد أن وقفوا بين يدى ربهم خاشعين يسألونه العون والمدد حتى يتغلبوا على صعاب الحياة، ثم يتوجهون إلى مراكز التدريب والعمل والإنتاج، كلٌ فى موقعه، يُجَوِّدُ صنعته، ويتقن عمله، ويبتكر فى أسلوب الأداء، وقول ربهم يرن فى آذانهم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

إن التنمية الحقيقية هى أن نربى الإنسان على الفضائل والقيم؛ لأن الشخص هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع، إذا صلحت

---

(١) الملك: ١٥.

(٢) التوبة ـ من الآية: ١٠٥.

صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، فالإنسان إذا صقلت مواهبه، واتجه إلى العمل بهمة ونشاط، فإنه سيحقق الخير لنفسه، والرفاهية لأسرته، والاستقرار لمجتمعه، وهذه هى التنمية الحقيقية التى توجد الأمن والهدوء فى المجتمع الإنسانى.

إن الإنسان قَدْرُهُ عظيم، ودوره فى المجتمع خطير؛ لذلك على الأجيال أن تحافظ على تراثها؛ لأنه ميراث المجتمع، يأخذون منه، ويستفيدون من فكر السابقين، وبهذا يتواصل موكب البشرية، وينمو الخير فى جنبات المجتمع،

إن سعى الناس جميعا فى الأرض، يقصد منه الحصول على الرزق الوافر والخير الكثير، والإنسان بفطرته السليمة، ينقاد لتعاليم الإسلام، ويجد فى تطبيقها راحة البال وبركة الرزق وهدوء النفس.

وبما أن المساجد فى الأرض هى بيوت الله، التى يتعلم المسلم فيها معانى الإسلام وآدابه، وأوامره ونواهيه، فضلا عن كونها الأماكن التى تقام فيها فريضة الصلاة التى هى الركن المُعْلَن من أركان الإسلام، وفيها يكون التدريب العملى على العمل فى ميادين الحياة المادية، مع الرقيفى مدارج الكمال النفسى والروحى؛ ليكون وسيلة إلى العمل فى ميادين الحياة المادية بنفس الروح التى يكون عليها المسلم وهو بين يدى ربه، ووسط إخوانه فى صلاة الجماعة، وبما أن المسجد له رسالة عظمى يقوم بها من حيث إنه المكان الطيب الذى يلتقى فيه أبناء الحى على ذكر الله،

وقد صفت القلوب، وتطهرت النفوس ـ وعاشت الأجساد خاشعة خاضعة لله رب العالمين، فإن دور الإمام الذى يوجه رُوَّاد المسجد لتنمية المجتمع هو التجسيد لرسالة المسجد، وهى:

١ ـ تقوية الصلة بالله عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى.

٢ ـ ربط الجماهير المسلمة برباط المحبة والتعاون على الخير، وذلك بصلاة الجماعة.

٣ ـ دفعهم إلى اتقان العمل والإنتاج، عن طريق العظة التى تقدم فى المسجد.

ومن هنا، وجب أن يتصف الإمام بما يأتى:

١ ـ قوة الصلة بالله؛ ليكون قدوة صالحة لغيره.

٢ ـ أن يقصد بما يقدمه وجه الله والدار الآخرة، وأن يكون بعيداً عن الرياء والمجاملة فى الحق، وأن يكون زاهداً فى مدح الناس وثنائهم.

٣ ـ أن يكون دائم الصلة بالأصلين الأساسيين، والينبوعين الصافيين «كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ» دراسة وتأملاً، واستنباطاً، وعملاً، يستمد من نورهما ما يكشف له كوامن النفس الإنسانية؛ ليقودها برفق لتقف عند حدودها.

٤ ـ أن يكون دقيق الفهم، وَاسِعَ الاطلاع، محيطاً بالبيئة التى يعيش فيها إحاطة تامة علَى علم باحوالها، وظروفها، والتيارات والتحديات التى تتعرض لها والافكار السائدة فيها.

٥ ـ أن يدرس التاريخ الإسلامى والإنسانى، دراسة واعية، وأن يكون مُلِمًّا بقسط كبير من علوم الكون والحياة.

٦ ـ أن يكون صاحب ثروة كبيرة من النصوص الدينية واللغة العربية وحبذا أن يكون مُلِمًّا ببعض اللغات الأجنبية؛ ليتمكن من الاطلاع على ما يكتبه الأصدقاء والأعداء عن الإسلام، ويتمكن من إفهام وإقناع من يتكلم إليهم بالعربية أو بغيرها، مسلمين أو غير مسلمين.

٧ ـ أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية، حتى يستطيع أن يعالج الأمراض الاجتماعية وما يعرض له من المسائل اليومية بالحجة القوية، والأسلوب المقنع.

٨ ـ أن يكون ذا خُلُق كريم، وسلوك مستقيم؛ ليكون محبوباً لقومه، فيؤمنوا عن صدق، بما يقول، ويستجيبوا لما يرشدهم إليه.

٩ ـ أن يكون حليما صبوراً، حريصاً على إفادة أهل منطقته، وتنوير بصائرهم.

١٠ ـ أن يزهد فيما عند الناس، ويقنع بما أعطاه الله، حتى يكون عزيزا بينهم، وأهلاً لاحترامهم ومودتهم، بعيداً عن التعرض لإهانتهم.

١١ ـ أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله، عالماً بأحكام التجويد.

١٢ ـ أن يكون حسن المظهر، فى زى يتسم بالوقار، وسمة تتسم بالجلال.

تلك بعض الصفات التى يجب أن يتحلى بها ويتصف شخص الداعية الدينى، إذا أردنا أن يكون له دور فى أى مجال من مجالات الحياة، فإذا ما كان على هذا المستوى، فإن دوره فى التنمية الاجتماعية سيكون أساسياً، ومثمراً، ذلك:

ـ لأنه يدعو إلى العمل والنظافة، وإلى إصلاح ذات البين، وإلى الإنفاق فى سبيل الله، بمعناه الواسع الذى يدخل فيه تعبيد الطرق وإنشاء المستشفيات الخيرية والمساجد والمعاهد التعليمية، والأندية، والمصانع، والجمعيات الخيرية التى تقوم على رعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين، وكل ما فيه خير للبيئة التى يقع فى محيطها المسجد، وما فيه خير للمجتمع.

ـ ولأنه يدعو إلى التعاون على البر والتقوى، فينهض المجتمع، بتحمل أفراده للأعباء والشعور بالواجب، فتدور عجلة الإنتاج، ويبتعد المسرف عن إسرافه، والمدمن عن إدمانه؛ حفاظاً على صحته التى هى صحة المجتمع فى النهاية.

ـ ولأنه يحرص على زيارة الجمعيات الزراعية ،والأندية الشبابية، والمصانع الإنتاجية، والمستشفيات العلاجية؛ ليسمع الجميع كلمة الله، فينشط الزارع، ويجدّ العامل، ويهتدى الشباب، ويصح المريض، وكل ذلك تنمية للمجتمع فى جميع مجالاته، وبشتى طوائفه.

إن الإمام الناجح فى رسالته، يُصحح مسار المجتمع الذى يعيش فيه، ويدفعه بالكلمة الطيبة إلى التنمية فى ذاته، وفى مجتمعه، انطلاقا من الشعور بالمسئولية الجماعية التى نبه الحق إليها فى قوله سبحانه: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(١).

كما أن الإمام الصالح يدعو بما دعا به الصالحون من قبل مصداقا لقول الحق: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾(٢).

رسالة الإعلام الدينى:

تتردد على الألسنة حكمة قديمة تقول: «إذا لم يسمعك أحد فأنت لم تقل شيئا»، ولما كان مجتمعنا اليوم يُطلق عليه تأدباً «من الدول النامية»، لما يعانيه من مشاكل التخلف الثقافى والاجتماعى والزراعى، فإن المأمول أن يكون المنبر جهاز إعلام لتنمية القدرات والمواهب، وأن يتجه برسالته ـ كما كان فى صدر الإسلام ـ إلى خلق المواطن الصالح، باعتباره مؤثرا فى الحركة الاجتماعية، والعمل الزراعى؛ لأن التنمية بكل أبعادها، تعتمد على الإنسان الذى يصدق ربه ويؤدى حقه، وأن يكون هدف الإعلام الدينى هو التغيير فى سلوك الفرد المسلم، من شخص كسول إلى إنسان نَشِط، وأن يثير فيه الحماسة؛ ليبرز قدراته، ويقدم عملاً صالحاً فى جسم هذه الأمة، وذلك إيمانا وتصديقا بقول الحق عز

---

(١) التوبة ـ من الآية : ١٠٥.

(٢) الفرقان ـ من الآية: ٧٤.

وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[1].

إن المنبر هو الذى يبنى الشخصية بناء متكاملا عقليًا، وسلوكيًا، وأخلاقيًا، ويحرره من الخوف الذى يعوق قدراته؛ لينطلق بكافة طاقاته ليُسهم فى بناء حياة أفضل، وهو يؤمن أن عمله لن يضيع سُدىً، فإن الله هو الحسيب الرقيب؛ لأننا لن نجد إعلاماً صحيحاً وناجحاً كما هو الحال مع المنبر؛ لأنه يعمل على إيجاد حياة أفضل، وينير الطريق، ويحدد المفاهيم، ويقتلع الأخلاق الفاسدة من أعماق الشخص، ويغرس مكانها القيم الفاضلة، والأخلاق العالية؛ لأن رسالته مستمدة من هدى الله وتوجيهات نبيه الكريم.

إن المنبر يخاطب الناس على قَدْرِ عُقولهم، وبأسلوب حكيم، يبين للناس الحلال والحرام، والخطيب برؤيته، إن ثبت له أن أمرًا من أمور الدنيا لا يستقيم صالح المسلمين إلا باتباعه، بين لهم أن هذا الأمر ينتقل من حد الإباحة إلى حد الوجوب، استنادا إلى القاعدة الفقهية (المصلحة المرسلة)، وكذلك (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

وإذا كان المسلمون يجذبهم قول الله، وقول الرسول الذى يقدم لهم بطريقة هادفة وأسلوب مبسط حتى تسمو روح المسلم،

---

(١) الكهف ـ من الآية: ١١٠.

وتظهر قدراته وطاقاته، مع تنمية عقله، وترقيق مشاعره، فإنه هو الأصل الذى يقدم، مصداقا لقول الحق عز وجل: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾(١).

إن أجهزة الإعلام التى تحاول طمس الحقائق الخلقية، اعتمدت على الذين خططوا لضرب الإسلام وإضعاف المسلمين بأساليب متنوعة تظهر أحياناً فى الإذاعات والسينما والتليفزيون، بالأغانى الهابطة، والدراما غير البناءة، والمسرحيات التى تطمس الحقائق، وتحرك الغرائز، كذلك الصحف والمجلات التى تسلك هذا المسلك، فإن كل ذلك لم يستطع فى يوم من الأيام أن يطمس دور المنبر وأثره، والمسجد ورسالته؛ لأن هناك فرقاً كبيراً بين ما ينبع من دين الله، وبين ما ينبع من أحاسيس تستهدف طمس الحقائق وضرب الفضائل، ذلك لأن وسائل الاتصال الحديثة، قد استخدمت بمهارة الدعاية لأمور أقل شأناً من الدين، وخططت بنجاح فائق وبأساليب متنوعة؛ وبسبب ذلك أحدثت تأثيراً قويًا لتغيير القيم والاتجاهات، وإن حاولت فى يوم من الأيام، استخدام هذه الوسائل فى الدعوة إلى الدين، فإن القصور يشوبها، بسبب الخلخلة الفكرية التى تبرز القصور، والخلافات التى تؤدى إلى إظهار عجز الدين فى معالجة المشاكل ومواكبة العصر على حسب ما يؤمنون، والغرض من ذلك أنها تريد أن

---

(١) النمل: ٩١.

تعصف بالشباب، وأن تفرق الجميع، وأن تقضى على كل المعلومات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية، وهم كذلك يحاولون إبراز بعض أتباع الدين على أنهم شخصيات دموية المزاج، وفى مسلكهم شراسة.

لكل ذلك، كان لابد للمنبر أن يأخذ دوره الإيجابى، وأن يتطور فى الأسلوب مع قضايا المجتمع، مع إظهار الجوانب الخلقية والاجتماعية فى الإسلام، ولقد سبق لى فى السبعينيات أن طالبت بإنتاج أفلام سينمائية، وتخصيص مساحات أكبر فى برامج الإذاعة والتليفزيون لشرح أسس الإسلام، وتعاليم الدين، وبكل اللغات الحية، وعرضها بثمن زهيد لتكون فى متناول الأيدى ويا ليت اصحاب المال يسارعون ويعملون فهذا سلاح العصر ولفة الوقت.

إن عظمة الرسالة الإسلامية، أنها التحمت بالمجتمع، وتفاعلت مع الكون، وانصهرت مع الجميع فى بوتقة الكيان الذاتى، فأثبت المسلمون وجودهم، وقدموا للعالم مدنية مزدهرة، وكانوا مصدر إشعاع للبناء الاجتماعى، لكن الزمن كشر عن أنيابه للمسلمين يوم أن تركوا تعاليم دينهم، وعزلوا الدنيا عن الدين، كما فعلت أوروبا يوم أن قام الناس هناك بثورة ضد الكنيسة التى أرهقتهم، وكبتت شعورهم، وأماتت أحاسيسهم، فكان نفس الهدف الذى طرحوه على الساحة الإسلامية، فكان من نتيجة ذلك، أن تغير العالم الإسلامى، من قوة إلى ضعف. ومن تقدم إلى تأخر، ومن تماسك إلى تفكك، ثم عندما تقدم العالم أجمع، بدأ

المسلمون يفيقون، من غفوتهم، ويتحركون بعد طول رقاد، ويثبتون وجودهم، ونحن نقول لهم: إنكم تقفون على عتبات الحاضر، فعليكم أن تنظروا إلى أمسكم الذى فى التاريخ نَبَؤُهُ «أمة عظيمة قوية صنعها الرسول ﷺ، بعون الله ورعايته، فدعم كيانها وأخلص فى تربية رجالها، وقادهم بتوفيق الله إلى شاطئ الأمان والهدوء والاستقرار، فى أخوة بارَّة، وتعاطف كريم، وتضامن فى المسئولية، وتعاون على البر والتقوى».

فلما علم الله منهم إخلاص النية وصدق العزيمة، ظل ـ سبحانه ـ يأخذ بيدهم من نَصْرٍ إلى نَصْرٍ كما يقول الحق: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾(١). ومن غَلَبٍ إلى غلبٍ، كقول الحق: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٢). وحداء السماء يحدو رَكْبَهُم كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾(٣). وملائكة السماء تكثر جَمْعَهُم، وتؤيد جندهم: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٤).

---

(١) الروم ـ من الآية: ٤٧.
(٢) المجادلة ـ من الآية: ٢١.
(٣) آل عمران: ١٤٦.
(٤) الأنفال ـ من الآية: ١٢.

منْ هنا كانت أنوار الهداية تحيط بهم من كل جانب تجذب إليهم الصديق، وتفتح لهم قلوب العدو؛ لأنهم مؤيدون بالحق، وإليه يدعون، وبه يعملون﴿ **نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾**﴾[1]

أما يومكم، فهذه الملايين المبعثرة، وهذه الأشتات الموزعة، لو أنها وجدت من يحسن قيادتها، ويصغى لصوتها، ويجسد هتاف ضميرها، فإنها تلتف حوله، وهو بهذا إن كان مخلصاً وقائداً محنكاً وفاهماً لأمور الدين، وعارفاً لتطور التاريخ، فإنه سيقود الأمة وبه تعلو رايتها، وتعبر قارات الدنيا بأسرها، تُبلغ كلمة الله، وتنشر دعوة الحق، وتدعو إلى السلام، بعد أن تحقق الرخاء والهناءة لمن ينضوون تحت رايتها، ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾[2] . وقوله عز وجل: ﴿ **وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾**﴾[3] .

ونحن نشهد اليوم أن ثانية أقوى دول العالم، وأغنى الجمهوريات التى تصدت للدين واعتبرته أسطورة من الخيال، وأنه مُخَدِّرٌ للشعوب، مُغَيِّبٌ لوعيها ـ قد انهارت وتفككت أوصالها، وكَنَسَهَا التاريخ حيث رمى بها فى هوة النسيان؛ ذلك لأن الدين له

---

(١) التحريم ـ من الآية: ٨.

(٢) الأعراف ـ من الآية: ٩٦.

(٣) الجن: ١٦.

قوة وهيمنة على النفوس، لا تستطيع القوى البشرية مجتمعة، بكل قواها أن تصدها، أو تحول بينها وبين وصولها إلى قلوب الناس؛ لأن الدين من عند الله، أرسل به رُسُلَهُ وأنبياءه لهداية البشرية، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾(١).

إن الليل ـ مهما طال لابُدَّ من فجر يُبدد ظلمته، وإن الظلم ـ مهما طال ـ لابد من يوم يتفرق فيه أتباعه، وإن الباطل ـ مهما انتشر ووجد من يجندون أنفسهم لخدمته، ويبذلون أموالهم لنشره ـ لابد أن ينحسر، مصداقًا لقول الحق: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾(٢). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾(٣).

إنه لم يكن أحد يتصور أن الاتحاد السوفيتى، ينهار بيد أبنائه، بعد أن كانت الدنيا لا تغمض عينيها إلا إذا أمنت جانبه، وها هو ذا اليوم قتلاه بالآلاف بيد أبنائه، وإن الحصار الذى فرضه على الأديان تهاوى تحت أقدام أصحاب العقائد؛ لأنه كما يقول ربنا: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ﴾(٤).

---

(١) التوبة: ٣٢ و ٣٣.
(٢) الأنفال ـ من الآية: ٣٦.
(٣) آل عمران: ١٩٦، ١٩٧.
(٤) الرعد ـ من الآية: ١٧.

من هنا، فإن القَدَرَ حَمَّلَنَا مسئولية ضخمة، هى أن نواجه العالم بقوة العقيدة، وحسن التخطيط، والاعتماد على الله، مع الأخذ بكل الوسائل الممكنة التى تحقق الأمن الغذائى والصناعى والتجارى للأمة؛ ليكون النجاح لمن يحملون راية الحق، ويبشرون بالسلام؛ لأن أصحاب العقائد ـ مهما قل عددهم ـ فإن النصر لهم، حسبما قال ربنا فى كتابه، بعد أن قدم الدعوة لإعداد العُدة وأخذ الأهبة: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾[1]. أما أنصار الباطل، فقد قال عنهم ربنا: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِى الأَبْصَارِ﴾[2]. إن الفضل بيد الله، وإن النصر من عند الله، وإنه ـ سبحانه وتعالى ـ لن يتخلى عن المؤمنين، هذا أمره، وهو ما تحقق فى الواقع واستوعبه التاريخ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾﴾[3].

إن الصحوة الإسلامية التى يشهدها العالم اليوم، علينا أن ندعمها ونرشدها؛ ليصل صوتها إلى الآفاق صيحة مدوية، تؤمن

---

(١) الأنفال ـ من الآية: ٦٥.

(٢) الحشر ـ من الآية: ٢.

(٣) الأنفال: ١٢ و ١٣.

الصديق، وتخيف العدو، وتنشر العدل المدعم بالرفق؛ لتنساب فى أنحاء الدنيا، تتلو كتاب الله، وتبين سنة رسوله ﷺ وتدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويومها سيجد الخائف مأمنه، والجائع مطعمه، والمريض علاجه، وسيصل العالم إلى شاطئ الأمان، وبر النجاة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾[1].

إن العظة من هذا الدرس يجب أن يستفيد منها المسلمون، فإن العاقل من اتعظ بغيره.

أما المستقبل، فإنه يحتاج إلى نظرة متأنية، وتخطيط سليم، يقوم على الدراسة الواعية، مع تجميع طاقات المسلمين، واستغلالها، وأخذ الأهبة لإيجاد دولة مسلمة، قوية تنير الشرق والغرب بنور الله الذى لن ينطفئ أبداً حتى تقوم الساعة.

إن السماء لا تمنح خيراتها للكسالى، وإن الأرض لن تجود بنتاجها للخاملين، نحن نردد أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن الإسلام دعوة إلى العمل والإنتاج، والسعى فى مناكب الأرض، وإننا نرجو آملين أن يتجه المسلمون إلى الوحدة

---

(١) الحج: ٤١.

والتآلف، ولهم فى ماضى الأجداد العظة المستفادة، وإذا كانت دول أوروبا توحد أنفسها اليوم، وتوحد السوق المشتركة على ظهر الأرض، والمسلمون كما نرى، أليس ذلك مما يدعو إلى العجب؟! وقد أجمع عقلاء الدنيا بأسرها أن ما حمله محمد بن عبد الله إلى البشر هو خير للدنيا وإسعاد لها، وتحقيق للأمن والرفاهية لبنى الإنسان جميعاً، أليس غريبا أن يكون الإسلام حائرا بين أهله، وجهل أبنائه، وعجز علمائه؟ وكيف يكون هذا حالنا، ومفتاح الخير فى يدنا، ونور الدنيا بين أيدينا وبأيماننا؟

إننا نهيب بالأمة الإسلامية أن تجتمع على كلمة الحق، وأن تدعو إلى الحق، ونقول لها ما قاله ربنا: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾(١). وقوله: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾**﴾(٢).

إن رجل الإعلام الدينى أمامه طريق النصر، حدده ربنا فى القرآن الكريم، وخلاصته، كما يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾**﴾(٣) إذن فالجسور القوية الموصلة إلى النصر هى:

١ ـ الثبات على المبدأ، ويستتبع ذلك قوة الثقة فى الله، وشدة العزيمة، وصحة اليقين.

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ١٠٣.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) الأنفال: ٤٥.

٢ ـ ذكر الله، وينتج ذلك من شعور الإنسان بأن الله معه، وأنه مراقبه، وسوف يحاسبه على ما يصدر منه من قول أو فعل.

٣ ـ عدم الخيانة؛ لأن الله لا يحب الخائنين، وما دمت مع الله، فكن أمينا على نفسك، وعلى المال العام، وعلى مصالح الناس، وعلى كل شيء فى الكون الذى تستطيع أن تتحرك فيه، فلا تفسد على الناس مصالحهم، ولا تلوث البيئة حتى لا تضر غيرك.

إن رجل الإعلام الدينى يرتبط قوله بسلوكه، لأن أمام عينيه قول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾** ﴾(١).

إنه يقول الحق ولو كان مُرًّا؛ لأنه لا يخاف على رزقه، فهو يؤمن بأن الرزق بيد الله وحده مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾(٢).

كما أنه لا يخاف على أجَله؛ لأنه يؤمن أن نَفْسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجَلَها؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾** ﴾(٣).

---

(١) الصف: ٢ و ٣.

(٢) هود ـ من الآية: ٦.

(٣) الأعراف ـ من الآية: ٣٤ و النحل ـ من الآية: ٦١.

فلو أن رجال الإعلام الدينى ـ على مختلف مستوياتهم ـ آمنوا بكل ذلك، وسلكوا المسلك الطيب، وكانوا نماذج حية لقيم الإسلام وتعاليمه، وتحركوا باسم الله، وقاموا باسم الله، وخططوا باسم الله، وأجمعوا كلمتهم لوجه الله، لا يريدون تفاخراً، ولا كبراً، ولا بطراً، فسوف يندحر أمامهم الإعلام المهزوز الذى خطط له أعداء الإسلام، ونشروه بقوة المال تارة، وبالخبث تارة أخرى، وبالتلفيق أحياناً.

إنَّ كل ذلك، تم فى غيبة الحق ورجاله، وغيبة العلماء وفكرهم؛ لذلك نحن نطلقها صيحة مدوية «إن الإسلام ليس لعبة الصغار» ولا يفرض بالجنازير، وضرب الرصاص؛ لأن الذى أرسل نبيه به قال له: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[1]. كما قال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2]. كما قال أيضاً: ﴿لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[3].

إن العالم مهيأ الآن لأن يتقبل منا ما نقول، لكن الشرط الأساسى أن يرى أمة الإسلام، وقد توحد صفها، وقويت عزيمتها، ومد الأخ يده لأخيه بحب وعطف ومَوَدَّة، الغنى يعطف

---

(١) سورة الغاشية ـ من الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف ـ من الآية ٢٩.

(٣) سورة البقرة ـ من الآية ٢٥٦.

على الفقير، والفقير يصون مال الغنى ولا يعتدى عليه؛ لأن كل واحد منهم يؤمن بما قال الله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴿٧١﴾﴾(١). وبما قاله - عز وجل - فى هذا السياق: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾(٢).

إن تنمية الإنسان ليست بالشىء السهل الهين؛ لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل، وأن تعبيد الطرق وشق الصخور أسهل، أما بناء الإنسان فشىء صعب، ولكن إذا ما تليت على الإنسان آيات الله، وذُكِّرَ بنعم الله، فإنه يلين قلبه، وتسكن عواطفه، ويطمئن خاطره: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾(٣).

إن الأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها، بزيادة المصانع لتشغيل الأيدى العاطلة، وتوسيع الرقعة الزراعية لتوفير احتياجات الناس من الغذاء، كذلك العمل على إعداد الجندى المدرب على آلات الدفاع ليؤمن حدود وطنه، وإعداد الشرطى الأمين ليؤمن الوطن من الداخل، ويحفظ أمن

---

(١) النحل - من الآية: ٧١.

(٢) طه: ١٣١ و ١٣٢

(٣) الرعد - من الآية: ٢٨.

المواطنين، ثم تعمل الأمم كذلك على توفير جو مناسب لفئة معينة كى تبتكر وتخترع وتخطط وتنظم وترسم الخط الذى يصل بين كافة الأجهزة داخل الوطن وخارجه؛ لتمد جسرا من التفاهم على حل المشاكل التى تظهر عند تنفيذ أى مشروع خدمة للأمة ونهوضاً بالمجتمع.

والذى يربى الرجال ويوقظهم ويصحح لهم المفاهيم ويوضح لهم الخط هو رجل الإعلام الدينى؛ لأنه يوجه ويرشد ليبنى الإنسان من خارجه وداخله؛ ليكون هناك اكتمال بين الروح والجسد، وحتى لا يطغى الجسد على الروح أو الروح على الجسد، فلابد أن يكون هناك انسجام بينهما وتوازن؛ لتزدوج الحياة مع الدين، كما تزدوج الروح مع الجسد، ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه، بل لابد من شخص تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس، وتهيئة المناخ العام الذى يعمل على إيجاد الفرد الصالح وينمى فيه روح المراقبة لله والولاء للدين والانتماء للوطن، وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع؛ لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية الصناعية أو الزراعية أو التجارية أو الحربية، أو الأمنية، فإن بُعْدَها عن الله يُزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل، وتتعرض لأوخم العواقب، مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾**﴾[1].

(١) سورة الفيل الآيتان: ١ و ٢.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾(١).

ومن المعلوم لنا أن الرسالات التى حملها إلينا الأنبياء، وأصبحنا الأمناء عليها، الداعين للأخذ بها، لا ترسمها اجتهادات أحد، ولا تنبع من فلسفات فكرية، بل هى من عند الله سبحانه؛ لأن العقل البشرى، مع احترامنا له، يلحقه القصور أحيانًا، والنسيان فى بعض الأحايين، أما الكمال المطلق فلله وحده، مصداقاً لقول الحق: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ والأرض﴾(٢)؛ لذلك فنحن نلتزم بما جاءنا من عند الله على لسان رسوله الأمين الذى نأخذ بقوله.

إن رجل الإعلام الدينى هو الذى يقوى العزائم بروحه؛ لأنه الصلة القائمة فى المجتمع، بين كتاب الله والناس، على أساسه ينظم شئونهم، وينفث فيهم روح النشاط والأمل، فإذا رأى فتوراً فى اتباع الدين، أو تهاوناً فى التمسك بالقيم، أو اعتداءً على الفضائل، أو نهباً للمال العام أو غشًّا فى التعامل، أو فتوراً وتكاسلاً فى أداء الواجبات ـ هَبَّ يدافع عن الدين، وينفخ فى الناس من روح علمه ومعرفته بالله؛ لتكون فيهم قوة الدفاع عن الحرمات التى نهى الله أن يُعتدى عليها، وأمر أن تُصان، فصوته يعلو كلما عرض لتعاليم الإسلام شىء ينقص منها، أو يحط من قدرها؛ لأنه كالديدبان اليقظ الذى يتخذ من المنبر مركزاً لتنمية

(١) سورة الفجر ـ الآيات من ٦ ـ ٨.
(٢) الروم ـ من الآية: ٢٧.

أحاسيس الناس وترقيق عواطفهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة لما فيه صلاحهم فى الدنيا والدين، آخذاً من هدى الإسلام، فهو موصل جيد لتعاليمه، وخطبة الجمعة من شعائر الإسلام، ومعانيها تنساب إلى نفوس المسلمين فى لحظات انعطاف إلى الله، مع شفافية الروح وخلو النفس من مشاغل الدنيا.

والإنسان فى تلك اللحظات، يتقبل وصايا الرحمن؛ لأنها تنير الطريق له، وتُعينه على حل مشاكل الحياة.

وعندما يتعرض رجل الإعلام الدينى، لتوجيه الإنسانية، على هدى من كتاب الله وتوجيهات رسوله، فإنه يتعرض لذكر نماذج من التاريخ، التى تدل على أمجاد المسلمين، فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ولبيان ماشاده المسلمون من حضارة عظيمة، تفجرت ينابيعها من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن، وصنعها الرسول ﷺ، والتأسى بالآباء والأجداد، مع التأمل فى الحاضر والتطلع إلى المستقبل بأمل باسم وثقة فى الله لا تتزعزع.

الصدق فى الكلمة:

الصدق فضيلة من الفضائل، كل الأديان رغبت فى التمسك به؛ لأنه أسهل طريق للنجاح؛ لذلك نجد أن الإعلام الناجح هو الذى يلتزم الصدق فى كلامه، حتى وإن اختلف فى الرأى مع الآخرين، فإنه يلتزم بتلك القيم الأخلاقية، فلا يجرح خصمه، ولا يكيل التهم لمن خالفه فى الرأى؛ ذلك لأن له موهبة نشطة،

وذكاء حاداً، فهو يستعمل كل ذلك فى البحث عن الحقائق؛ ليكون مقنعاً لمن يستمع إليه، أو يقرأ له؛ لأن القلوب لها آذان لا يصل إليها إلا ما خرج من القلب عن صدق.

إن الإعلامى الذى لا يلتزم الصدق فى كلامه وآرائه وتحليلاته ينصرف الجمهور عنه، ويتندرون عليه، فهو موضع نقد دائم، ولا يكون رأياً عاماً، ولا يؤسس فكرا له، وكيف يكون وضعه فى المجتمع والأخبار التى يرويها ملفقة، والأنباء متناقضة، والمعلومات غير صحيحة، فالناس ينصرفون عنه ولا يقبلون عليه.

وإذا كنا نرى فى مجتمعنا المعاصر أن خبراً يُنْشَرُ فى أول الجريدة له فى وسطها تكذيب، ووكالات الأنباء التى تذيع خبراً تنقضه بعد قليل، والمجلات كل ما فيها تهييج للغرائز وتصوير للجنس - فإن ذلك أدَّى إلى شعور باليأس من الإصلاح. والإنسان - وهو يتابع ذلك - يقع تحت تأثير سيطرة الكلمة التى قرأها أو سمعها؛ لذلك يرددها وهو فاقد الوعى، وهنا نجد أن المستوى الأدبى قد هبط، وأن الفهم السليم للغة العربية قد انحدر، ونحن نقول لهؤلاء: إن الكلمة أمانة، وهى مسئولية خطيرة، وإلى هذا أشار القرآن الكريم مبينا لنا أن كل كلمة نقولها، سنُحاسب عليها، حسبما جاء فى قول الحق: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾(١).

(١) الإسراء: ١٣ و ١٤.

ومن أجل هذا نبهنا ربنا إلى أن نبتعد عن اللَّغْو فى الكلام، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾(١).

ويقول: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾(٢). كما يبين لنا ـ عز وجل ـ أن الشخص عليه أن يلتزم بالصدق، ولا يتبع الظن، ولا يتبع العثرات، فيقول جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾(٣).

ويقول:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾(٤).

ثم يبين لنا خطورة الكلمة، وأن الواحد منا عليه أن يتحرى الحقيقة، فيقول رسول الله ﷺ: «إن العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكلمة ما يتبين فيها يَزِلُّ بها فى النَّار أبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِق والمَغْرِب» (متفق عليه). وقال أيضا صلوات الله وسلامه عليه: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لسَانه ويَدِه». وفى الحديث الآخر الذى رواه البيهقى: إنَّ العَبْدَ لَيَقول الكَلِمَةَ لا يَقُولُهَا إلاَّ لِيُضْحِكَ بِهَا مَنْ فى المَجْلِس يَهْوِى بها أبْعَدَ ما بَيْنَ السَّماء والأَرْض، وإنَّ المَرْءَ لَيَزِلُّ عَنْ لِسَانه أشَدَّ مِمَّا يَزِلُّ عَنْ قَدَمَيْه». وقال شاعر:

يَمُوت الفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِه

وليسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجْلِ

---

(١) المؤمنون: من ١ ـ ٣.

(٢) القصص ـ من الآية: ٥٥.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) الفرقان: ٧٢.

وفى الأثر، عن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تستكفى اللسان، فتقول له: اتق الله فينا؛ فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا. وإن اعوججت اعوججنا».

ونحن نقص لرجل عظيم، هو قدوة للإعلاميين الذين يحترمون أنفسهم، ويحافظون على أصالة الفكر والبحث عن الحقيقة، وعدم التمسك بالشائعات، وإذاعتها، إنه المثل الرائد صاحب الخلق الكريم، سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ، فلقد كان فى مكة ـ قبل أن ينزل عليه الوحى ـ متصفاً بالصدق والأمانة، يتعامل بهما مع العدو والصديق، فتراه مثلاً فى ليلة الهجرة عنده أمانات لأعدائه، وهم الذين تآمروا عليه، وجمعوا الجموع لقتله، ومع ذلك كلف الامام عليًا لينام فى مكانه؛ ليرد الودائع إلى أصحابها، وهل تجد أميناً هكذا؟ يتآمرون عليه، ويرد لهم ما عنده من أمانات؟.

وفى المدينة، كانت تنزل عليه النوازل التى من شأنها أن تعصف بحلم الحليم، وتحفزه ليرد عن نفسه، ولكنه دائما كان يبحث عن الحقيقة، ويتحرى الصدق، فتراه مثلا عندما أرجف المنافقون فى المدينة بحديث الإفك، عن السيدة الفاضلة المحترمة العفيفة (عائشة) بنت الصديق الكريم، رضى الله عنهما، وأبطأ الوحى، والناس يخوضون فى هذا الأمر، حتى بلغت القلوب الحناجر، لكنه كلما سئل ﷺ عن رأيه كان يقول بكل تحفظ واحتراس: إنى لا أعلم من الأمر شيئا، ومع ذلك يبذل جهده فى

التحرى عن الحقيقة، ويسأل والكل يقول: ما علمنا من سوء، ويمضى الشهر وبعضه، وهو يقول لزوجته وأهل بيته: «أما إنه بلغنى كذا وكذا مما يقول الناس، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله».

أرأيت هذا الأسلوب الكريم، ماذا كان يمنعه أن يدافع عن خاصة أهله، وهى زوجة شريفة من بيت كريم، ونبت طيب ودوحة أصيلة؟ لِمَ لَمْ يتكلم ليدافع عن شرفه ويحمى عِرْضَهُ ويقطع ألسنة المتخرصين؟ إنه لم يرد أن يتبع الظن وإنما يتحرى الحقيقة، حتى لا يقول ما ليس له به علم. ومن هنا أذهب الله الرجس عن هذا البيت، وطهرهم تطهيرا، وأنزل قرآنا يتلى على سمع الزمان، يعلن براءة «الطاهرة»، فنزلت سورة النور تعلن براءة الصديقة بنت الصديق، وهكذا نرى أن محمدا الزوج الكريم ضرب المثل الرائع على أن الرجل لا ينقاد للشائعات، ولا يجرى وراء الظن، ولا يتصيد التهم؛ ولهذا يقول الدكتور غوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) «لقد استطاع محمد أن يبدع مثلا عاليا قويا للشعوب العربية، التى لا عهد لها بالمثل العليا، وفى ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد.. على أصحاب المبادئ وحملة مسئولية الكلمة أن يقتدوا به، ولا يثيروا العواطف أو يقولوا ما ليس لهم به علم، ذلك أن الظن لا يُغنى عن الحق شيئا، وأمتنا اليوم فى حاجة إلى قيادات تدعو إلى الخير والفضيلة والتمسك بالآداب العالية والأخلاق الفاضلة؛ ليكونوا نماذج صالحة يقتدى الناس بهم.

حرية الرأى:

إن البعض قد يقول: (أنا حر) أعردد ما أشاء وأقول ما أريد، نقول له: نعم، أنت حر، لكنك جزء من مجموع، لست وحدك فى الكون.

والإسلام يؤكد على حرية الرأى، لأنها تؤكد كرامة الإنسان، وتشجعه على التفكير؛ ليلتحم مع غيره، لكن الحرية فى التعبير تكون بخير الأساليب، وأفضل العبارات، مع الابتعاد عن اللغو. فيقول الحق سبحانه: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾(١). ويقول المولى عز وجل: ﴿**وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**﴾(٢). ويقول فى علاه: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٣). فالحرية لها ضوابط لتصان الحرمان ولا يشاع المجون.

إن الناس إذا فقدوا الثقة فيمن يتحدث أو يكتب إليهم فسينصرفون عنه ويقولون (كلام جرايد) أو (ياعم سيبك أهو واحد اللى يقوله يعيده)، فينصرف الناس عنه، وتبور الصحيفة، وينفض الناس عن الخطيب فلا أحد يسمع له وهذا ما رأيناه من تخلخل الفكر المعروض على الناس حتى أصبح هناك أزمة ثقة بين كثير من الناس الذين يستهويهم البحث عن الرأى الحق؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾(٤). ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وتطاوعوا ولا تختلفوا» إنه لا

---

(١) البقرة ـ من الآية: ٨٣.

(٢) المزمل ـ من الآية: ١٠.

(٣، ٤) الإسراء ـ من الآية: ٥٣.

حرية بلا مسئولية، ورجل الإعلام الذى يعرف المسئولية ويقدرها ويلتزم بالحق وحده بدون سيطرة الهوى على النفوس، محاولة لإدخال الرعب على شخص ما، هو ناجح فى عمله، له رواده ومحبوه.

إن الإعلام هو دعوة لبث روح الأمن فى المجتمع، وإشاعة روح الأمل فى نفوس الجماهير، مع رسم خريطة المستقبل، بحيث تكون بَيِّنَة المعالم، واضحة الأهداف، إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبرنا أنه سوف يسأل الصادقين عن صدقهم، وأن من افترى الكذب فهو ظالم لنفسه، . قال تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ**﴾[1].

إن التشهير ببرىء يدمره، وإن التشنيع على الشخص يحطمه، والنتيجة حقد ومرارة ومحاولة انتقام وتربص كلٍ بالآخر، وهل هذه هى الحياة؟ لا... من أجل ذلك قال الرسول ﷺ لعقبة بن عامر: «أمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَك» فهل آن الأوان لكى نراجع أنفسنا ونهيئ المناخ الطيب بإعلام صادق، يأخذ مجراه لبناء الإنسان، وتوحيد الصف، وإيجاد جيل يؤمن بالقيم والأخلاق، يترك الجدل، ولا يجرى وراء التفاهات، وإنما يبحث عن عظائم الأمور؛ لأن العظائم كفؤها العظماء؛ وذلك ما يهدف إليه المنبر فى المسجد، وهو أقوى وسيلة إعلام، نأمل الخير للدنيا من خلال ما يقال عليه، عندما تقبل الجماهير لتسمع آيات الله تتلى، فيزداد

---

(١) الزمر ـ من الآية : ٣٢.

الإيمان فى القلوب، وتتفجر الطاقات للعمل البناء لصالح الأمة وخدمة الإنسانية.

إن الشخص قد يختلف مع غيره فى الرأى، والإنسان العاقل هو الذى يحول الخلاف فى الرأى إلى جسر يعبر منه إلى تحقيق أكثر للخير، وتآلف القلوب؛ لأن الوصول إلى أحسن النتائج والأفكار يكون نتيجة حوار هادئ يتسم بضبط النفس، وسعة الصدر، وعدم اللجاجة فى الباطل، والانقياد للحق، ولو كان على غير مراد الشخص، فالرسول عليه الصلاة والسلام ـ يقول ـ فيما رواه الترمذى ـ «ما ضَلَ قَوْمٌ بعد هُدًى كَانُوا عَلَيْه إلاَّ أُوتوا الْجَدَلَ» ويقول فيما رواه البخارى: «إن أَبْغَضَ الرِّجَالَ إلى الله الألَدُّ الخَصِمُ».

إن الجدل فى الكلام يؤدى إلى الخصومة، وشحن النفوس بالغيرة وحب التعالى والظهور، وكل ذلك من الأمور التى نهى الإسلام عنها؛ ولهذا يرشدنا ربنا إلى أدب الحوار والجدل فيقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(١). ويقول الحق أيضا فى ذلك: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾(٢). والرسول عليه الصلاة والسلام يرشدنا إلى أن نبتعد عن الجدل والثرثرة التى لا تفيد، فيقول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فيما رواه ابو داود: «مَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فى ربضِ الجَنَّةِ، ومَنْ تَرَكَهُ وهُوَ مُحِقٌّ بُنِىَ لَهُ فى وَسَطِهَا، ومَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِىَ له فى أعْلاَهَا».

---

(١) العنكبوت ـ من الآية : ٤٦.

(٢) الهمزة: ١.

إن أدب الحوار أن تستمع من الذى يحاورك، وتعطيه الفرصة كى يعبر عن فكره واتجاهاته، ويقيم الأدلة على ما يقول، ثم هو - كذلك - يستمع لك، ويمنحك الفرصة كى ترد عليه بأدب وتجمل وسعة صدر وحلم؛ لأن الهدف الوصول إلى قيمة فكرية نحاول تعميقها فى نفوس الناس، ووضع الضوابط العلمية كى نحول الفكر المضطرب إلى فكر مستقيم، حتى نخدم ديننا وأمتنا.

إن بعض الناس لا يلتزم بأدب الحوار، الأمر الذى يحدث ضجيجا وفوضى فى المجلس، وتضيع القضية المطروحة على الساحة ويروج لها من لا يفهم فكرًا مستقيمًا، وهنا لا نقدر على تأصيل القيم العلمية والأدبية؛ لذلك فإن المطلوب أن نشيع ونشجع أدب الحوار فى مجتمعنا؛ تحقيقا لما يهدف إليه الإسلام، وتدعو إليه القيم الخلقية والأدبية.

إن الإسلام لا يُصَادر رأياً ،ولا يحجر على فكر، وإنما يدعو لأن نقول الحُسْنَى، وهى الكلمة الطيبة الهادفة التى لا تجرح الشعور، ولا تؤذى النفس، وتؤصل فكرًا سليمًا وقيمًا خلقية، ولا يكون من ورائها فوضى واضطراب وخلخلة اجتماعية، ولا تطاول على القيم والعادات، إننا ندعو إلى احترام أنفسنا، ولن يتحقق ذلك إلا إذا احترمنا غيرنا، وكان عندنا فسحة فى الصدر، واستماع للآراء، ثم تكون هناك مناقشة صادقة تنير المسالك، وتكشف الغامض، وتفتح آفاق الفكر المستنير؛ ولهذا نهانا ربنا أن نَسُبَّ من يختلف معنا فى الدين؛ لأنه يردُّ عليك، وهنا تكون

الفتنة، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

فعلينا أن نحترم غيرنا، ولا نتهجم على عقائده، وقيمه وآدابه، وعاداته الاجتماعية، وهذه هى الحرية التى ينشدها الجميع.

أدب الاختلاف:

الاختلاف، والمخالفة: أن ينتهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخر فى حاله أو قوله، وقد يفضى ذلك إلى التنازع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، حيث قال ربنا جل جلاله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾[2]. ويؤدى ذلك إلى الجدل، الذى من خلاله يحاول كل شخص أن يتغلب على الآخر ويصل من وراء ذلك إلى الشقاق، وإلى هذا أشار الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾[3]. وقد اقتضت مشيئة الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنه خلق الناس بعقول متفاوتة ومدارك متباينة، إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار لحكمة يعلمها؛ لكى يتسع نطاق الابتكار والاختراع، وكل ذلك من مظاهر قدرة الله تعالى فى خلقه، وإلى هذا أشاز القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾[4]. ولعل الحكمة من كون الناس لم يخلقوا سواسية فى كل شىء، أن يكون هناك

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ١٠٨.

(٢) مريم ـ من الآية : ٣٧.

(٣) البقرة ـ من الآية : ١٣٧.

(٤) الروم ـ من الآية : ٢٢.

تعدد الحلول لكل وقاعة ليصل الناس الى الحل المناسب، وحتى لا يقع الناس فى حرج فى حياتهم، كما أن الاختلاف رياضة للأذهان وتلاقح للآراء وفتح لمجالات التفكير للوصول إلى أنسب الافتراضات؛ لأن ذلك يتيح التعرف على جميع الاحتمالات التى يمكن وقوعها، ولعل فى ذلك حكمة عظيمة لا ندركها، ولهذا جاءت الإشارة من الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾(١).

ونصل من وراء ذلك إلى أن الاختلاف له فوائد، إذا لم يكن من وراء ذلك اتباع الهوى وحب الغلبة والظهور، وإلى هذا أشار سبحانه: ﴿**وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾(٣).

وإذا كان الخلاف للهوى وحب الظهور، فإن ذلك مفسدة، وإخلال بالمصالح العامة، وإلى هذا أشار قول الله: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾**﴾(٤).

إن الاختلاف إذا تذبذب بين القوة والضعف ـ تبعا لمشاعر

---

(١) هود: ١١٨، وصدر ١١٩.
(٢) ص ـ من الآية : ٢٦.
(٣) الأنعام ـ من الآية : ١١٩.
(٤) البقرة ـ من الآية : ٨٧.

الهوى وحب السيطرة والمرح ـ فإن ذلك وليد الهوى، ونزغ الشيطان، فعلى صاحبه أن يعود إلى صوابه، ولا ينقاد لهوى النفس الأمَّارة بالسوء، وأن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لأن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ يقول: «إنَّ الخِلاَفَ شَرٌّ». ولعلنا نلحظ أن هارون ـ عليه السلام ـ بين لنا خطورة الاختلاف وضرره، وأنه أشد من عبادة الأوثان، وذلك عندما صَنَعَ السامرى لقومه عِجْلاً من الذهب، وقال لهم، كما قال الحق: ﴿**هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ** ﴿٨٨﴾﴾(١). فالتزم جانب الصمت، وبقى ينتظر موسى الذى رأى القوم عاكفين على العِجْل، فوجَّهَ اللوم إلى أخيه هارون، الذى قال لموسى مبينا عذره فى السكوت: ﴿**قَالَ يَا بْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴿٩٤﴾﴾(٢). فجعل هارون عذره خَوْفَ الفرقة والاختلاف، ونستأنس هنا بقوله تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٣).

إن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية، إذا كان الهدف منه الوصول للحق، وتحقيق أعلى معدلات الإنتاج فى الأداء وتنفيذ الخطة السليمة المدروسة، القائمة على التخطيط المبنى على

---

(١) طه من الآية: ٨٨.
(٢) طه: ٩٤.
(٣) آل عمران: ١٠٥.

العلم؛ ليكون من وراء ذلك صالح المجتمع وخدمة الإنسانية، ونستأنس هنا بما أخرجه البخارى ومسلم، أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب: «لا يُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلاَّ فى بَنى قُرَيْظَةَ»، فَأدْرَكَ بَعْضَهُمُ العصرُ فى الطريق، فقال بعضهم: لا نُصلى حتى نأتيها (أى بنى قريظة)، وقال بعضهم: بل نُصَلِّى، فذكر ذلك للنبى ﷺ، فلم يعنف واحداً منهم، وكذلك ما أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: «احْتَلَمْتُ فى ليلة بَارِدَةً فى غزوة ذَات السَّلاسل، فأشفقتُ إن اغْتَسَلْتُ أنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثم صَلَّيْتُ بأصحابى الصبْحَ، فَذُكِرَ ذلك للنبىِّ ﷺ، فَقَالَ: (ياعَمْرو، صَلَّيْتَ بأصْحابِكَ الصُّبْحَ وأنْتَ جُنُبٌ؟) فأخبَرْتُهُ بالَّذى حَدَثَ، فنزل قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴿٢٩﴾﴾(١). فضحك رسول الله ولم يقل شيئا».

كذلك كان بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ اختلاف فى الرأى، لكنهم كانوا يلتزمون دائما البُعْدَ عن الهوى، والالتزام بآداب الإسلام من انتقاء الكلمات الطيبة، وتجنب الألفاظ الجارحة، وحُسن الاستماع.. وإذا كان فى عصرنا الحاضر، قد نشأ خلاف فى الأمور السياسية، جعل البعض متشدداً فى رأيه، ويتمسك برأى حزبه، ولا ينصاع للرأى الصواب، فإن ذلك من الأمور التى يجب علينا أن نعالجها، وأن نبين أن المسلمين حدث

(١) النساء ـ من الآية: ٢٩.

بينهم خلاف عند مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم اتخذت الطائفة المعارضة العراق كبيئة خصبة لتفاعل الأفكار السياسية وتعقيداتها وتصديرها إلى الجهات المختلفة، وهناك نشأ التشيع ،وظهرت (الجهمية، والمعتزلة)، وانتشر الخوارج، وظهر أهل البدع، وبدأ وضع الحديث، وتأليف القصص ذات المغزى السياسى، حتى قال الإمام مالك عن الكوفة: (إنها دار الضرب)، وقال الزُّهْرِىُّ (يخرج الحديثُ من عندنا شبراً، فيعود من العراق ذراعا) كما جاء فى كتاب الانتقاء.

ثم ما حدث فى صلح الحُدَيْبِيَةَ، حين جاء سُهَيْلُ بن عَمْرو إلى رسول الله ﷺ، فقال لعَلِىٍّ: اكتب: (هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْه مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ) فقال سهيل: (لَوْ نَعْلَمُ أنَّكَ رَسُولُ الله لم نُقاتِلْكَ) فقال رسول الله لعَلِىّ: (امْحُ هَذَا)، وما حدث من عمر، عندما اعترض على الصلح، وقال قولته: يا رسول الله، ألسنا على الحق، فقال الرسول ﷺ: بلى، فقال عمر: فَلِمَ نُعْطَ الدَّنِيَّةَ فى ديننا؟.

وعندما وقف المسلمون ولم يقصروا، ولم يخلعوا ملابس إحرامهم، فأشارت أم سلمة: أن يبدأ رسول الله، ثم يخرج إليهم، فانتهت المشكلة فى هدوء، وهذا قمة أدب الاختلاف، ويحدث كثير جدا شىء من الخلافات التى تتسم بالطابع السياسى، ومع ذلك لم تُفَرق جَمْعَ المسلمين، ولم تكن فى يوم من الأيام عامل هدم فى جسم الأمة الإسلامية.

فعلينا نحن أن نتنبه، وأن يكون لنا فى رسول الله أسوة

وقدوة، وفى الصحابة الكرام، وفى مناهج الأئمة ما ينير لنا طريق الحقيقة، حتى تتوحد الصفوف والقلوب، وتجتمع الكلمة تحت راية واحدة هى راية الإسلام، فقد كان الواحد منهم يبذل جهده وما فى وسعه، ولا هدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله جل شأنه، ولقد كان أهل العلم يقبلون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية، فيصوبون المُصيبَ، ويستغفرون للمخطئ، ويحسنون الظن بالجميع، فالكل يستقى من نبع واحد، وإن اختلفت الوسائل، إننا ـ ونحن نذكر ذلك ـ نركز على أن المسلم عليه أن يعى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾[1].

ولقد بَيَّنَّا ما حَدَثَ فى العراق، كَمَثَل نضربه، لأن أعداء الإسلام حاولوا ضرب الإسلام، واقتلاع جذوره ومحوه من الوجود، فلم يقدروا على ذلك، ثم عقبنا بما حدث من أمور سياسية؛ لنكون على بَيِّنَةٍ بأن الأمور السليمة والقواعد الأصيلة هى التى ترد الناس إلى الحق، وتأبى الانقياد للهوى؛ لأن ذلك خير للشخص فى دنياه ودينه، وإن الانحدار الذى تعيش فيه المجتمعات الإسلامية اليوم، كان نتيجة لركود الحركة الفكرية وانتشار الفتن، وذبول شجرة الاجتهاد، ونزول الحال عند هذا الدرك الهابط، فغابت شمس العلوم، وعقم الفكر، وراجت سوق البدع، ونفقت بضاعة الانحراف، واتخذت أشكالاً

(١) سورة النور ـ من الآية ٥١.

مختلفة، مما أفسح الطريق أمام الغزاة الذين حطموا أقدار الأمة المالية والاجتماعية، ووقفت الأمة الإسلامية تبكى على أطلال الماضى، ونامت على أحلامه، حتى إن من يَطَّلِعُ على تراث الأمة، لا يكاد يُصَدِّقْ أن هذا الخَلَفَ مِنْ ذاك السَّلَفِ.

ونحن لا نقول هذا للإثارة؛ لأن الخلاف بين المسلمين وتنمية أسبابه، خيانة عظمى لأهداف الإسلام، ولقد كنا نبكى بدل الدموع دما، يوم أن دُمِّرَت العراق فى حرب الخليج، وقبلها بكينا على ما فعلته هى فى الكويت، وكانت نتائج تلك الكوارث مروعة؛ لأن الأرقام تبين أن ما أُنفق على هذه الحرب بلغ أكثر من ٦٠٠ مليار دولار، علاوة على من سقطوا قتلى وجرحى، وهذا المبلغ كان يكفى لإسعاد أمة الإسلام على اختلاف قاراتهم واختلاف لهجاتهم، ولكن للأسف، ضاعت الأموال، وضاعت الأمة، وها نحن أولاء الآن نحاول أن نصلح ما أفسده الدهر، ولقد حدث هذا من خمول العقيدة فى نفوسنا، وزعزعة إيمان الكثير، وعدم الاستقامة على الجادة، والسلوك المنحرف، والفقه المفقود، والوعى الغائب عن الوجود، وأمة هذا حالها، أغْرَتْ أعداءها فانتهزوا الفرصة ودمروا البلاد، وأهلكوا الحَرْثَ والنسل، وقضوا على البقية الباقية من مقومات شخصية الأمة.

وهنا، كان لابد للخلاف أن يظهر، فبدأنا نرى الشباب الذى ينتسب إلى فرقة معينة، وآخر إلى مذهب محدد، والبعض يدعو إلى اللامذهبية، وهذا من أهل القرآن، وذاك من أهل الحديث، ومع ذلك، كثرت الأحزاب السياسية، وتنوعت، ولكل حزب

أتباع وهم بما لديهم فرحون، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة، من التكفير، والتفسيق والنسبة إلى البدع والانحرافات والعمالة، والتجسس، مما لا يليق بمسلم أن ينسبه إلى أخيه المسلم، فضلا عن الإعلان عنه والجهر به بين الناس، بل والطامة الكبرى حين وصل ذلك إلى الاعتداء على الأبرياء وإرهاب الآمنين.

إن الأئمة المجتهدين اختلفوا، ولم نلحظ أن واحداً منهم تطاول على الثانى، لكن المختلفين فى الوقت المعاصر مع أنهم ليسوا مؤهلين للاجتهاد، فإنهم يرفعون أصواتهم عالية عندما ينقلون رأياً من فقيه أو كلمة من متحدث، فيبيح الواحد منهم لنفسه أن يعتلى منبر الاجتهاد، ويتعالى على العباد، ويصف غيره بالجهل، ويقوم بكيل التهم للناس، ويزعم أنه يذب الخطر عن العقيدة، التى لم يلتزم بآداب سلوكها.

لهذا، فنحن نهيب بالمسلمين المخلصين الذين يبتغون الخير لدينهم، وأمتهم، ويعيشون واقع المأساة من رجال الإعلام الذين يتسمون بنزاهة القصد، وبُعْد النظر، وسعة الأفق ـ أن يعملوا على تعديل المسار الفكرى، ومعالجة الأزمة التى تبرز بوضوح من خلال انهيار المؤسسات التعليمية والتربوية التى أنتجت تدنيا لمستوى الوعى والمعرفة، وتفكك علاقاتهما، وإحباط المحاولات التى تعمل على إجهاض الصحوة الإسلامية التى ترتكز على أسس أصيلة.

إننا بحاجة ماسة إلى فكر سليم يقوم على فهم روح الإسلام وغاياته، وقواعده الكلية؛ لكى نتمكن من إعادة طرح التصورات والحلول الإسلامية؛ لتثوب الأمة إلى رشدها، وتضع يدها على جراحها، وتنبذ الخلافات وراء ظهرها، وينصهر الكُل فى بوتقة الأخوة، ويدوِّى نداؤها «حى على الصلاة.. حى على الفلاح.. حى على خير العمل». وعندئذ ستنطلق القافلة، تبنى وتصحح، وتصون ماشاده الأجداد؛ ليصل الماضى بالحاضر، على جسر من التفاهم القائم على المحبة، وساعتها يفرح المؤمنون بنصر الله، إنه ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

إن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ وضع المعايير، وحدَّدَ الحدود، وفَصَّلَ وبين؛ لتكون الحجة واضحة، وقد ألزمنا أن نتمسك بهذا المنهج لأنه خير، ينشر الفضيلة، ويؤكد دعائم الحق والصدق، ويبن أن لها كياناً وأساساً، فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾(١). ويقول سبحانه: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ**﴾(٢). وفى الحديث النبوى الشريف الذى رواه الدارمى، عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: «خَطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يوما خَطًّا ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خَطَّ خطوطًا عن يَمينه، وخُطوطًا عن يَساره، ثم قال: هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى

---

(١) الأنعام ـ من الآية: ١٥٩.

(٢) الأنعام ـ من الآية: ١٥٣.

كُلٍّ منها شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهَا، ثُمَ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(١).

وفى الصحيحين، عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ قال: «كان النَّاسُ يسألونَ رَسُولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشَّرِّ مخافَةَ أن يُدْرِكَنى، فقلت يا رسول الله، إنا كُنَّا فى جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال ﷺ: نعم، قلت: هل من بعد ذلك الشر من خير؟ قال: فيه دَخَنٌ، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سُنَّتى ويهدون بغير هَدْيى، تعرفُ منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها، فقلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا. قال ﷺ: قَوْمٌ من جِلْدَتنا، يتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله، فما ترانى إن أدركنى ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تَعَضَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك» صدق رسول الله.

وروى الترمذى، عن العرباض بن سارية قال: « صلَّى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا، فَوَعَظَنا مَوْعِظَةً بليغة ذَرَفَتْ منها العيون، وَوَجِلَتْ منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسول الله، كأنها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فماذا تَعْهَدْ إلينا؟ فقال: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فإنَّ مَنْ يَعِشْ منكم فسيَرَى اختلافًا

---

(١) الأنعام ـ من الآية : ١٥٣.

كثيرًا، فعليكم بِسُنَّتى وسنَّةِ الخُلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدَثات الأمور، فإنَّ كُلَّ مُحْدثَة بِدْعَةٌ وكُلَّ بِدْعَة ضَلالَة»، يعنى لا خروج على الجماعة وحتىً لاَ تكون فتنة لَا نستطيع رأب صدعها.

إن الذين تفرقوا واختلفوا، لو أنهم قرءوا وفهموا لتبين لهم الرشد من الغى ولتمسكوا بأهداف الفضيلة، ورتبوا أمورهم على هذا المنهج الكريم، ولكانت السعادة للإنسانية جمعاء، ولتبوأت الأمة الإسلامية مكانتها فى الصدارة والهدى والرشاد؛ لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين الصادقين، الذين يؤمنون ويوفون بالعهد وهم من خشية ربهم مشفقون، ويتمسكون بالجماعة؛ لأن الله معها يبارك خطاها.

المنبر وأثره فى اتجاه الرأى العام:

يؤدى الإعلام دورًا خطيرًا فى تشكيل اتجاهات الرأى العام، وقد عرفت البشرية ذلك منذ زمن طويل وأمد بعيد، ولعلنا نلحظ أن العرب فى جاهليتهم، كان الشعر وسيلتهم فى نقل معلومة من المعلومات، أو إبراز خبر من الأخبار أو وصف حالة من الأحوال، وقد بلغ من اعتزاز العرب بالشعر لهذا الأمر، أن علقوا بعض القصائد فى جوف الكعبة، إبرازًا لقيمتها الأدبية، وإعظامًا لما تحمله من أخبار يريدون نقلها إلى الحُجَّاج، وإلى الأجيال القادمة.

ولقد كانت هناك أسواق عند العرب، يجتمع فيها أهل الحل والعقد، وأصحاب الرأى، يستمعون للشعراء، وكل منهم يتبارى

فى إبراز فضائل قومه، والانتقاص من القبيلة المعادية؛ لأنهم كانوا يعددون الخصال الحميدة أو الذميمة، وكان الناس يتناقلون الشعر ويرددونه فى محافلهم، فتتطاير الأخبار ويتنشر الأمر الذى أراده الشاعر بين الناس.

ثم تنزلت الرسالة المحمدية، على سيدنا محمد ﷺ، وكُلِّفَ أن يخاطب الناس أجمعين، ولما كان أمره غريبًا فى وسط الجزيرة، فقد طلب الله منه أن يُنْذِرَ عشيرته الأقربين؛ لأنه بإنذاره لهم سيسيرون بالأمر وينشرون خبره، وفى ذلك إعلام للناس من حوله بأمور دعوته، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(١).

ثم توالت الآيات، التى تبين أن هذا النبى العظيم ما هو إلا منذر ومذكر، ومبلغ عن الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾(٢).

ويقول الحق: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾(٣). ويقول جلت قدرته: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

وكان الرسول ﷺ يجمع من آمن به فى أول الأمر فى دار الأرقم بن أبى الأرقم، يعلمهم ما نزل عليه، ويلقنهم مبادئ

---

(١) الشعراء: ٢١٤.
(٢) الغاشية: ٢١.
(٣) الأعلى: ٩.
(٤) الذاريات: ٥٥.

الإسلام، ويحفظهم القرآن الكريم، ثم ينطلقون يوجهون الدعوة من خلالهم إلى غيرهم، فكأن دار بن الأرقم كانت مؤسسة إعلامية يجتمع فيها طلاب الخير وعُشاق الفضيلة، يعرفون حقيقة الأمر، ويستوضحون الأخبار، ثم ينطلقون يبلغون قومهم وذويهم ومعارفهم، وهكذا، وجد الإسلام سبيله إلى الانتشار.

ثم هاجر النبى ﷺ إلى المدينة المنورة، التى أحس فيها بالأمن والاستقرار، فأنشأ مسجده الذى صار مكانا لجذب الجماهير المتطلعة إلى وضوح الرؤية ومعرفة الحقيقة، فاتخذ الرسول ﷺ منبره وصعد عليه، ليسمع الناس الذين تكاثروا من حوله.

ومن على المنبر كانت توجيهاته الواضحة للمهاجرين والأنصار، يخاطبهم الرسول ﷺ فيدعوهم إلى إفشاء السلام وإلى التصافح والتهادى وصلة الأرحام، مع العناية والرعاية بأمر الوالدين والرحمة بهما، كما يوجههم إلى مَدْ يد البر والرحمة لليتيم، ويؤكد على شحن القلوب بالرحمة؛ لأن التراحم هو أول ما يطالعنا به القرآن الكريم وصفا لربنا الرحمن الرحيم، ويحث الذين التفوا من حوله أن يعملوا على حفظ الإنسان وتنمية قدراته، وتفجير طاقاته، مع توفير البيئة الأسرية الصالحة له، حتى قبل أن يولد عن طريق اختيار الأب والأم كل منهما للآخر؛ لترعى الطفل فى جسده وعقله وتعمل على سلامته وتعليمه وإعداده للحياة؛ ليكون عنصرا مؤثرا فى مجتمعه، وكان يؤكد على أن التفاضل فى الحياة بين الناس بالتقوى والعمل الصالح،

وكان يقدم الإنسان المبدع ليصقل مواهبه، ويكون مركز إعلام قوى لنشر ما تلقاه وتعلمه ووعاه.

وكان صلوات الله عليه وسلامه ـ وهو من فوق المنبر ـ يتعرف على وجوه القوم الجالسين ويتطلع إلى ما يعلوها أثناء إلقائه الحديث من انطباعات، وبفراسته ﷺ يكتشف صاحب الاستقبال السريع والتأثر الجيد بالعظة التى تُلقى، فكان يعمل على أن يقدم النماذج الطيبة الصالحة التى تتسم بالمهارة والفراسة، لتؤدى دورًا إيجابيًا فى المجتمع.

وكان ﷺ من خلال لقاءاته مع أصحابه فى مكة قبل الهجرة. اكتشف ما يتمتع به مصعب بن عمير، من نباهة فى الفكر، وصواب فى الرأى، وكياسة فى الحديث، ولباقة فى الرد، فاتخذه سفيرا أول للإسلام خارج حدود مكة، ولقد أظهر براعة فى الفطانة، والنباهة والسياسة، مما كان له أكبر الأثر فى نشر الإسلام فى يثرب، بسهولة ويسر، ففتحت أبوابها لهجرة المسلمين المضطهدين فى مكة، ثم هاجر النبى ﷺ إليها، وفى المدينة اكتشف مواهب كثيرة، دفع بهم رسول الله إلى المجتمع؛ ليقدموا الخدمات وينشروا ما لديهم من علوم ومعارف.

وكان الفضل فى اكتشاف هذه المواهب، يرجع إلى فراسة رسول الله ﷺ أولاً، وجمع المسلمين واجتماعهم بين يديه فى المسجد ثانيًا؛ إذ كان المنبر من أعظم الوسائل لاكتشاف المواهب

وصقلها، والدفع بها إلى معترك الحياة.. فمثلاً، نجد رسول الله ﷺ يشجع «ثَابِتَ بن قَيْسٍ» على الخطابة، وكان خَطِيبَ الأنصار الْمُفَوَّه، الذى يهز القلوب ويحرك الأحاسيس، وكذا كانت «أسماء الأنصارية» خطيبة النساء، فشجعها وحَسَّنَ رأيها. وكذا خالد بن الوليد، الذى أرهق المسلمين فى غزوة أحُد، فقدر الرسول ﷺ مواهبه الحربية عندما أسلم، وأسند إليه المهام الكبيرة وسماه «سيف الله المسلول»، إبرازًا لتلك المواهب، وكان ﷺ يقول لصحابته: استقرئوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة، وأبى بن كعب؛ ومعاذ بن جبل، ذلك لأنه وجد فيهم تفوقا فى الحفظ، وسلامة فى النطق، وحسنا فى الأداء.

كما أن أُبَىَّ بن كعب، ظهرت مواهبه فى تعلم اللغات، فكلفه الرسول ﷺ تَعَلُّمَ اللغة العبرية، فضلا عما يجيده من لغات أخرى. وضمه إلى كُتَّاب الوحى، وائتمنه على قراءة الرسائل التى ترد من الجهات غير الناطقة بالعربية، وإعداد الرد عليها.

وهناك أم عطية، تلك الصحابية التى ظهر تفوقها فى تمريض الجرحى ورعاية شئونهم، فوفر الرسول ﷺ لها هذه الفرصة التى تجيد العمل فيها، فضلا عمَّا يعود عليها منها من رضا الله ورسوله والمؤمنين المجروحين.

تلك مجرد أمثلة، وهناك غيرها من عشرات الأمثلة الأخرى التى لا يتسع المقام للتعرض لها..

إن المنبر مركز إعلامى يُغَيِّرُ اتجاه الرأى العام إلى الأفضل، وقد اتخذ منه الرسول ﷺ وسيلة إلى توحيد الصف الإسلامى، وتأكيد معانى الإخاء فى المجتمع الجديد الذى بدأ يتشكل، ولابد أن تكون هناك حماية أمنية داخل الجزيرة العربية، لذلك أحس القوم بأن روحا جديدة تسرى فى أجسادهم، وكانت السعادة غامرة لهم، فكل واحد منهم اتخذ من نفسه وسيلة إعلامية يذيع ما سمعه ووعاه، خاصة بعد أن سمع قول الرسول ﷺ «نَضَّرَ الله وجه امْرِئٍ سَمِعَ مَقَالَتِى فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا، وأدَّاها كَمَا سَمِعَهَا. فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أوْعَى مِنْ سَامِعٍ». صدق رسول الله.

ولما استتب الإسلام واستقر، كاتب الرسول ﷺ المُلُوكَ وراسلهم، وشرح لهم الإسلام، وبين لهم ما فيه من سماحة ويسر، وأنه دين يتفق مع الفطرة، ويدعو إلى الحوار، واليقظة الدائمة والعقل الواعى؛ لأن العقل كالسِّراج والشَّرْعَ كالزيت الذي يمده، وأن الإسلام دعوة إلى التسامح، والتلاقى فى الحب والإخاء ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾(١).

وإذا كان الرسول ﷺ قد بعث برسائله إلى الملوك والحكام، يدعوهم إلى الإسلام لأنه دين عالمى، وهو ختام وحى السماء ـ فمن الملوك من رد ردا جميلا، ومنهم من غلب عليه الغرور والكبر، فرد عليه رد غير كريم.

لقد عبر الإسلام حدود العروبة إلى أرض حضارات قديمة، وأصبح العرب بعض الإسلام، كما أصبح الإسلام بعض العرب،

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ٦٤.

وانتشرت العربية مع الإسلام؛ لأن كتابه أُنْزِل بلسان عربى مبين، وعلى رسول عربى فى أم القرى العربية؛ ولَذا فإن العرب هم أول من حمل أمانة الإسلام إيمانا ونشرا وجهادا، وبالفهم السمح لاختلاف الألسنة واللهجات والألوان والبيئات والعادات والتقاليد والقدرات وامتداد المكان، وتعاقب الزمان، ومتغيرات الحياة - خرج الإسلام من الجزيرة العربية، إلى العالم، وتتابعت رحلته شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره.

ولقد لقى الإسلام فى مساره صنوفا من التحديات، وتجلت حيوية معتنقيه فى قدرتهم على مقابلة هذه التحديات بأن جعلوا من عقباتها معابر إلى آفاق أوسع وتحملوا ما نالهم من الأذى البدنى والاجتماعى والاقتصادى بصبرهم وثقتهم فى وعد الله القائل: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾[1]؛ إذ كونوا قاعدة بشرية حملت أمانة التبليغ، وسارت فى الآفاق تدعو إلى الإسلام، وأدب الحوار فى أذهانهم، والصبر فى قلوبهم، والثبات على ملامحهم، فكانوا لا يهابون من البشر؛ لأنهم يؤمنون بكرامة الإنسان، ويحافظون على حقوقه وواجباته. وكان الواحد منهم يقول: إن احترامى للآخرين ينبع من احترامى لنفسى؛ لأن الناس إما أخ لى أو نظير لى فى الخلق.

لقد نشأ احترام ذات الآخرين عندهم نتيجة لثمرة التربية الإيمانية، وممارسة تطبيق تلك التربية فى البيت والشارع وأى مكان. من أجل ذلك انتشر الإسلام؛ لأن وسائل الإعلام فيه

---

(١) غافر: ٥١.

نظيفة، وموصلة جيدة، وكان فى إقبال الشعوب التى أسلمت على تعلم اللغة العربية، وحبهم لهذا اللسان، ما دعاهم إلى المساهمة الإيجابية فى صنع الحضارة الإسلامية.

والذين شاركوا فى نجاح خط الإعلام الإسلامى، وتحملوا مسئوليتهم أمام الله وأمام التاريخ، وقاموا بالتنسيق لجهودهم، حيث بذلوها بصدق من أجل صناعة مستقبل للإسلام أفضل، لهم أجر كريم، وإذا كنا نتحدث عن الإعلام فى الصدر الأول للإسلام، فإننا لا ننسى الهجرة الأولى إلى الحبشة، فإن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «لو خَرَجْتُمْ إلى الحَبَشَة، فإنَّ بِهَا مَلِكًا لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهى أرض صِدْقٍ، حتى يَجْعَل الله لَكُمْ فَرَجًا ومَخْرَجًا». ومع أنها كانت محدودة الهدف والمدة، فإنها تركت أثرا فى المكان الذى حل فيه الصحابة فيها؛ ولهذا نقول بثقة واطمئنان: إن المنبر رسالة إعلامية خطيرة، تتضاءل أمامها كافة الأجهزة الإعلامية الأخرى للأسباب التالية:

١ ـ لأن المنبر له رسالة مستمدة من رسالة المسجد، ونابعة منه؛ إذ المسجد هو المكان المقدس الطاهر المبارك الذى تغشاه الرحمة، وتنزل فيه الملائكة، ويشهده الصالحون.

٢ ـ الذين يدخلون المسجد ليستمعوا إلى ما يقال من فوق منبره، دخلوا بقلوب نظيفة، وأجساد طاهرة وزينة كاملة، وجلسوا فى أماكن طاهرة، وفى جو مشحون بالصفاء والنقاء.

٣ ـ أن ما يقال من فوق المنبر، هو إما توجيه إلى خلق فاضل، أو تصحيح لقيم غَيَّرَ البعض أهدافها، ويستند الخطيب فى علاج أى مشكلة إلى قول الله تعالى أو قول رسول الله ﷺ، أو إلى آراء بعض الصحابة أو العلماء أو الفقهاء. ومع أصالة الماضى، فإن الخطيب ينقله برفق؛ ليعالج مشكلة اجتماعية، أو يصحح أفكارًا خاطئة، مستدلا على ذلك بالقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة التى مارسها الرسول ﷺ أو قالها، أو أمَرَ الصَحابَةَ بفعلها.

٤ ـ الذين يحضرون إلى المسجد عندهم شفافية روح، وطهارة حسٍّ، واستعداد لتقبل ما يقال، والإنصات التام لسماع العظة.

٥ ـ منهج الإسلام للنبى ﷺ، أن يُبَلِّغ ما أُنْزِلَ عليه من ربه، كقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[1]. والمنهج المتكامل للإسلام هو أنه يعنى بتربية الشخص بناء متكاملاً من الناحيتين: الأخلاقية والسلوكية؛ ليكون هناك إعداد للفرد المسلم ليعيش حياة صالحة سعيدة فى الدنيا، يعمل فيها لنفسه وللمسلمين من حوله، كأنه يعيش فى الدنيا أبدًا، ويعمل فى الوقت نفسه للحياة الآخرة كأنه يموت غدًا، فالمنبر ـ إذن ـ يوجه الإنسان ليصنع لنفسه حياة فاضلة على هذه الأرض،

(١) المائدة ـ من الآية: ٦٧

وبنفس الشعور يؤمن بأن عمله ما هو إلا مقدمة حتمية للحياة الآخرة، كقول الله عز وجل: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾(١).

٦ ـ أن الخطيب على المنبر يتكلم بلغة العصر؛ لأنه يشعر أن المسجد للجميع، فأمامه عالم الذرة، وطبيب العيون، والتاجر، والصانع، والزارع، والمهندس، والمحاسب، والأمى الذى لا يعرف هذا من ذاك، فهو يدعو للعمل من أجل الدنيا بمثل ما يدعو للعمل من أجل الآخرة، يحث كل شخص على أن يتقن عَمَلَهُ وأنيُجَوِّدَ صنعتهُ، وأن يكون أميناً صادقاً، وأن تكون علاقته بالناس جميعا طيبة، وسلوكه مُرضياً فى أى مكان يكون فيه الإنسان، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾**﴾(٢). وفى الأثر: أُمِرْتُ أنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهم.

توجيهات لمن يصعد المنبر:

إن الخطيب عليه أن يستشعر أن رسالته خطيرة جدًّا؛ لأنه يُؤَصِّلُ قيمًا، ويعالج أمورًا، ويغير اتجاه الرأى العام، لذلك: عليه

---

(١) آل عمران ـ من الآية: ٣٠.

(٢) إبراهيم : ٤.

أن يرعى الله أولاً فى أداء رسالته، وأن يكون دقيقًا أمينًا، فَطِنًا، لَبِقًا، حَسَنَ التصرف، بعيدًا عن التكلف، مقدرًا هذه المكانة الجليلة التى يرتقيها، والدرجة العالية التى يقف فيها، ولذلك عليه:

١ ـ أن يكون متواضعا، هاشا، باشا، حسن الهيئة، نظيف الهندام، رائحته طيبة؛ لأنه مع استعماله السواك، فإنه يمس الطيب، مع تبديل ملابسه بين الحين والحين.

٢ ـ أن يلبس أفضل وأجمل ما عنده فى يوم الجمعة، وأن يذهب مبكرا إلى المسجد، وأن يجلس بوقار وأدب واحترام.

٣ ـ إذا حان وقت الخطبة، صعد على المنبر برجله اليمنى، وهو يسبح الله، ويسأله التوفيق بصوت غير مسموع، وأن يرفع رجله اليمنى عند كل درجة يصعدها على المنبر، وهو يردد: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾(١).

٤ ـ إذا انتهى إلى نهاية المنبر التفت بوجهه كله إلى الجمهور، وألقى عليهم السلام، ثم يجلس فى أدب وخشوع وحياء

---

(١) طه: ٢٥ ـ ٢٨..

وتواضع، ولا يكثر من الحركة، حتى يفرغ المؤذن من الأذان، ثم يقف ليلقى خطبته التى تكون فى موضوع واحد، يعالج فيها مشكلة من المشاكل الاجتماعية، ويصف العلاج من هدى الإسلام وتوجيهاته، ولا يطيل؛ لأن الكثير من الكلام ينسى بعضه بعضا.

وفى الخطبة الثانية، يصحح بعض المفاهيم الفقهية، ويوضح للناس أمرا من أمور الدين، بحيث لا تزيد الخطبتان على عشرين دقيقة؛ لأن من فقه الرجل قصر الخطبة وإطالة الصلاة، ونحن نعلم أن بعض الأمراض التى أصابت بعض المسلمين، تجعلهم يحتاجون إلى تجديد الوضوء، ونحن أُمِرْنَا أن نُخَفِّفَ على الناس ولا نشق عليهم.

٥ ـ عند الانتهاء من الخطبة والنزول من على المنبر، ينزل الرجل برجله اليسرى أولاً، ويقف بها على الدرجة حتى يحرك اليمنى، وهكذا حتى ينتهى بالنزول برجله اليسرى، وهو يحمد الله الذى وَفَّقَهُ وأعانه.

٦ ـ والخطيب، وهو صاعد المنبر، عليه أن يتذكر أن هذا مرتقى الصالحين، ومكان الطيبين، كم صعد عليه من العلماء الذين أخلصوا لله، فليحاول أن يسير على نهجهم، ويكون قدوة صالحة، ونموذجا طيبا، يجعل الله أمام عينيه، ويتمثل رقابته عليه.

واعلم ـ أيها الخطيبْ ـ أن الخطبة تقوم مقام الركعتين، فأتْقِنْ أداءك، وصَحِّحْ عباراتك، ولا تُنَفِّرْ الناس منك، فإن الله لعَن

الرجل الذى يؤم قوما وهم له كارهون، وضَعْ فى اعتبارك أنك تعرض فكرك على الجماهير، فَنَوِّعْ موضوعاتك لتعالج المشاكل برفق ولين، وتوجيه بالحسنى وتنبيه الغافلين، وذَكِّر الناس بأيام الله ونعمه، واجعل قراءتك فى الصلاة ما يؤكد المعنى الذى وجهت إليه فى خطبتك، وكن عَفَّ اللسان، سليم الصَّدْر، بَسَّامًا فى وجوه الناس.

إن الكلمة التى تقولها من فوق المنبر لها خطورتها؛ لأن الناس يسمعون منك ولا يناقشون، فتخير الكلمات وضع العبارات، وسُقِ الأدلة بين يديك، ولا تورط نفسك فى ذِكْرِ شىء يجرح شعور الآخرين؛ فإن الله عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لهما: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ** ﴿٤٤﴾﴾(١). ورسولنا ﷺ، كان يقول من فوق المنبر: « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولونَ كَذَا، وما بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا» ولَمْ يُلَمِّحْ بِأَشْخَاصٍ، ولم يُصَرِّحْ بأسْمائِهم.

---

(١) طه: ٤٤.